IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[مفهوم استخلاف الإنسان في الأرض والغاية منه]

[اعداد: حسن الهواري]

[أستاذ الدراسات الإسلامية بالمعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية بباريس /باحث في سلك الدكتوراه جامعة الزيتونة تخصص العقيدة والفلسفة الإسلامية]

ملخص البحث:

لقد شرف الله سبحانه وتعالى الإنسان على سائر مخلوقاته وجعله خليفة له في الأرض وأهله بمؤهلات روحية وعقلية وبدنية تجعله قادرا على تحقيق السيادة على كل المسخرات التي خلقت له من أجل تحقيق العبودية لله وحده انطلاقا من سيادته في الأرض، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} (لقمان: 20).

وهذا التسخير يحمل في طياته كل مظاهر التكرِيم للإنسان من أجل عمارة الأرض بعبادة الله، والقيام على ما يصلحها. بحيث لا ينبغي له أن يحيد عن هذا المنهج وإن كان يتمتع بمطلق الإرادة في الإختيار التي يتميز بها عن سائر المخلوقات.

ولأن هذه العبادة لله جل وعلا هي العهد الذي أخذه الله على بني آدم منذ خلقه قبل أن يختار لهذه المهمة قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173)} (الأعراف). لذلك فأن الغاية والمقصود الأكبر من إرسال الرسل وبعثة النبيين، وإنزال الكتب، هو تذكير الإنسان بهذا العهد القديم الذي لا يمكن بدونه أن يحقق مهمة الإستخلاف ويعمر الأرض بالإيمان والعمل الصالح. مهما بلغ علمه وعظم شأنه ما دام لم يتصل منهجه في الأرض بالسماء.

ثم إنه بعد هذه المهمة راجع إلى ربه ليجزيه عن حسن إنجاز المهمة، أو يعذبه عن الإهمال والتقصير في الإنجاز.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

المقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين سيدنا وحبيبنا ومولانا ودليلنا، وشفيعنا محمد بن عبد الله، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين وعلينا معهم إلى يوم الدين.

وبعد.

تشكل مهمة الإستخلاف بداية الوجود البشري على الأرض، الذي أعلن عنه الحق سبحانه أمام ملائكته بقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}(البقرة:30)، وبموجب هذه الوظيفة زود الإنسان بما يؤهله للقيام بهذه المهمة، وفي مقدمة ذلك العلم الذي لم يشرف به الخالق سبحانه مخلوقا غيره {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(33)} (البقرة). لقد قدر الله عز وجل بمشيئته أن يكون الإنسان مستخلفا في الأرض وقدمه في ذلك على سائر مخلوقاته، فكانت تلك بداية التقدير له، بوضعه محورا لما سيجري على الأرض من أحداث جسام، كان على رأسها اصطفاء الرسل الذين سيكونون حلقة الوصل بين الله عز وجل: المستخلَف، والإنسان: المستخلِف.

ولذلك جاء ذكر الإستخلاف في القرآن الكريم مقرونا بالأرض أكثر من مرة :{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} (النور:55).

واستخلاف الإنسان في الأرض لم يكن مطلقا، وحقيقته كما أرادها المستخلف هي أنه استخلاف بقصد إصلاح الأرض وعمارتها، لا بقصد إفسادها وخرابها، ولذلك فإن العدل الإلهي يحكم على من أفسد فيما استخلف فيه باستبداله بمن يخلفه ويصلح ما أفسده.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

و بما أن الإستخلاف مجرد نيابة عن المالك للتصرف في ملكه، فإن من حق المالك المستخلف أن يبدل المتخلفين إذا ما أخلوا بشروط الإستخلاف وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى:{وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ اخَرِينَ}(الأنعام:134)، وقوله تعالى:{فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ اَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}(هود:57).

أهمّية موضوع البحث:

1- يتناول البحث أصل الإنسان وتكريمه ومؤهلاته باعتباره المكلف بمهمة الخلافة في الأرض.

2- يتناول البحث مفهوم الإستخلاف وأنواعه.

3- البحث يسلط الضوء على الغاية من الإستخلاف التي تتجلى في العبودية التامة لله تعالى.

المبحث الأول: أصل الانسان وتكريمه ومؤهلاته.

المطلب الأول: تعريف الإنسان.

أ-**تعريف الإنسان في اللغة:** قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "وسمِّي الإنسان من النِّسيان والإنسانُ في الأصل إنْسيان لأن جماعته إناسيّ، وتصغيرُه أُنَيْسِيان يرجع المد الذي حذف وهو الياء وكذلك إنسانُ العين جمعه أناسيّ قال: إذا استوحَشَتْ آذانُها استأنست لها *** أَناسِيُّ ملحودٌ لها في الحواجبِ".

وقال الله عز وجل: {وأناسيّ كثيراً}.

والإنسانُ صخرةٌ في رأس الجَبَل: علوتُ على إنسان نِيقٍ مُثَبَّتٍ *** ربيئة أقوامٍ يخافون من دهم.

والإنسان الأَنملة قال: تَمْري بإنْسانِها إنسان مُقْلَتِها *** إنسانةٌ في سَوادِ الليلِ عُطْبُولُ.[1]

1 **كتاب العين،** الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م.، (باب السين والنون)، ج7 ص304

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وقال ابن فارس: "(أنس) الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهورُ الشيء، وكلُّ شيءٍ خالَفَ طريقة التوحُّش.

قالوا: " الإنْس خلاف الجِنّ، وسُمُّوا لظهورهم. يقال آنسْتُ الشيء إذا رأيتَه ".

قال الله تعالى: {فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً} (النساء:6).

ويقال: " آنَسْتُ الشيءَ إذا سمعتَه. وهذا مستعارٌ من الأوّل ".

والأُنْس: أُنْسُ الإنسانِ بالشيء إذا لم يسْتَوْحِشْ منه. والعرب تقول: " كيف ابن إنْسِك؟ إذا سأله عن نفسه ".

ويقال: "إنسان وإنسانان وأناسيُّ. وإنسان العين: صَبِيّها الذي في السّواد".[2]

و (الإنسان) الكائن الحي المفكر(ج) أناسي (أصله أناسين)، وإنسان العين ناظرها، وإنسان السيف والسهم حدهما، والإنسان الراقي ذهنا وخلقا، والإنسان المثالي الذي يفوق العادي بقوى يكتسبها بالتطور.

(الإنسانية) خلاف البهيمية وجملة الصفات التي تميز الإنسان أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات.[3]

تعتبر كلمة إنسان كسائر المفردات تتضمن معنيين لغوي واصطلاحي، حيث إن الإنسان بالمعنى اللغوي يذهب البعض كما -رأينا-الى أنه مشتق من كلمة (إنس) أي الظهور، ويذهب آخرون الى أن الكلمة مأخوذة من (النسيان)، ويذهب أخرون إلى أنها مشتقة من (الأُنس). فهو كائن حي يتصف بكل ذلك زيادة على أنه يتميز بالفكر والتعقل والقدرة على الإختيار -خلافا للحيوان -لذلك فهو مسؤول على مآلات اختياره.

ب-تعريف الإنسان إصطلاحا: اختلف الناس في تعريف الإنسان في الإصطلاح: فبعضهم جعله المعنى القائم بالبدن، ولا دخل للبدن في مسماه، وجعله آخرون الهيكل المحسوس، وهم جمهور المتكلمين.

وحكى أبو الحسن الأشعري أقوال الناس في ماهية الإنسان منها:

2 **معجم مقاييس اللغة**، إبن فارس. الناشر: دار الفكر، طبعة 1399هـ/1979م. (مادة أنس)، ج1 ص145
3 **المعجم الوسيط**، مجموعة من المؤلفين، الناشر: مجمع اللغة العربية -مكتبة الشروق الدولية. سنة 2004م. (باب الهمزة)، ج1 ص63

الأول: قول أبي الهذيل: " الإنسان هو الشخص الظاهر المرئي الذي له يدان ورجلان ".

الثاني: قول النظّام: " الإنسان هو الروح ".

الثالث: قول بشر بن المعتمر: " الإنسان جسد وروح ".

وقال عباد بن سليمان: " الإنسان معناه أنه بشر فمعنى إنسان، معنى بشر ومعنى بشر إنسان في حقيقة القياس وزعم أن الإنسان جواهر وأعراض ".[4]

ورجح ابن القيم القول الثالث قائلا: " الذي عليه جمهور العقلاء أن الإنسان هو البدن والروح معا وقد يطلق إسمه على أحدهما دون الآخر بقرينة ".[5]

وذلك أن ماهية الإنسان وحقيقته لا تكون بدونهما، فقد نصنع تمثالا من حجر أو غيره على هيئة إنسان، لكن لا يمكن لنا أن نسميه إنسانا، لأنه لا روح له، وهكذا الأرواح التي بها الحياة، لا تسمى بمفردها إنسانا، حتى تتعلق بالبدن. فالإنسان مجموع الروح والجسد، وهذا يعني أن الإنسان والبشر سيان.

وأرى أنه يمكن تعريف الإنسان على أنه " المخلوق الذي خلقه الله بيديه من الطين في أحسن تقويم ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها، ثم اصطفاه للإستخلاف في الأرض وحمّله مسؤولية عمارتها التي سيحاسب عليها يوم القيامة ".

وبعد هذا التعريف بالإنسان باعتباره المخلوق الذي اصطفاه الله على كثير ممن خلق وفضله وزوده بمميزاتِ ومؤهلات خِلقية وخُلقية مادية وروحيه تجعله أهلا لتحمل مسؤولية الإستخلاف لعمارة الأرض. سيتناول المطلب الثاني تلك المراحل التي مر منها قبل نزوله إلى الأرض لبداية مهمة الإستخلاف والعمارة فيها.

4 **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة 3. ص328-329 -بتصرف-
5 **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. ص178

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

المطلب الثاني: ماهية الإنسان في القرآن الكريم.

أول إنسان خلقه الله سمي بآدم وتعريف آدم كما قال الفراهيدي: "الأَدْمُ: الإتفاق وأَدَمَ اللهُ بينهما يأدِمُ أدْماً وآدَمَ بينهما إيداماً فهو مُؤْدِمٌ بينهما قال: (والبِيضُ لا يُؤدِمْن الاّ مُؤدَما ...) أي لا يُحْبِبْنَ إلاّ مُحَبَّبًا. ويقال: بينهما أدْمةٌ ومُلْحَة أي خُلْطة".

وقالوا: "الأُدمة في الناس شَرْبة من سَواد وفي الإبِلِ والظِّباء بياض" يقال: "ظَبْية أدماءُ ولم أسمع أحداً يقول للذكر من الظِّباء آدَم وإنْ كان قياساً".

وأديمُ كلّ شيء: ظاهرُ جلدِه وأَدَمَة الأرض: وَجْهُها وقيل سُمِّي آدم عليه السلام لأنّه خُلِقَ من أَدَمة الأرض وقيل: " بل من أَدَمةٍ جُعلت فيه".[6]

وفي مختار الصحاح: الأَدَمُ بفتحتين جمع أَدِيمٍ وقد يجمع على آدِمَةٍ كرغيف وأرغفة وربما سمي وجه الأرض أَدِيماً والأَدَمَةُ باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرها والأُدْمةُ السمرة والآدَمُ من الناس الأسمر والجمع أُدْمَان، والآدَمُ من الإبل الشديد البياض وقيل هو الأبيض الأسود المقلتين يقال بعير آدَمُ وناقة أدْماءُ والجمع أُدْم. وآدَمُ أبو البشر... والأَدْمُ الألفة والاتفاق يقال أدَمَ الله بينهما أي أصلح وألف وبابه أيضا ضرب وكذا آدَمَ الله بينهما فعل وأفعل بمعنى وفي الحديث (لو نظرت إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)[7] يعني أن تكون بينكما المحبة والإتفاق.[8]

قال الإمام الطاهر بن عاشور: "وآدم إسم الإنسان الأول أبي البشر في لغة العرب وقيل منقول من العبرانية لأن أداما بالعبرانية بمعنى الأرض وهو قريب لأن التوراة تكلمت على خلق آدم وأطالت في أحواله فلا يبعد أن يكون

6 **كتاب العين**، (باب الدال والباء)، ج8 ص88.
7 **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة 2-1420هـ/1999م.، مسند المغيرة بن شعبة، رقم ح 18154.
8 **مختار الصحاح**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، الناشر: المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت -صيدا، الطبعة 5-، 1420هـ / 1999م. (مادة أ د م)، ص15

إسم أبي البشر قد اشتهر عند العرب من اليهود وسماع حكايتهم ويجوز أن يكون هذا الإسم عرف عند العرب والعبرانيين معا من أصل اللغات السامية فاتفقت عليه فروعها ".[9]

فاسم آدم يحمل معنى أصله الترابي ولون بشرته كما يعني علاقته بجنسه بالألفة والمحبة والتوافق.

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان -أبونا آدم-من مراحل وصفها في القرآن الكريم بمنتهى الدقة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم).[10]

قال المناوي: "ببناء وصف للمفعول أي بما وصفه الله لكم في مواضع من كتابه ففي بعضها أنه خلقه من ماء وفي بعضها من تراب وفي بعضها من المركب منهما وهو الطين وفي بعضها من تراب، وفي بعضها من صلصال وهو طين ضربته الشمس والريح حتى صار كالفخار ".[11]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك).[12]

(إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض) من طيبها وخبيثها ومختلف ألوانها (فجاء بنوا آدم على قدر الأرض)؛ أي في الألوان كما عده في الألوان الثلاثة جاء (منهم الأحمر) كالتركي (والأبيض) كالعرب (والأسود) كالحبشة (وبين ذلك) لون غير متمخض إلى أحد الثلاثة، بل يأخذ من كل منها ومن أحدها وأصول الألوان عند المتكلمين خمسة هذه الثلاثة والصفرة والخضرة، وكأنه ليس في ألوان الأرض من هو خالص إلى هذين اللونين فلذا لم يعدهما في الحديث بل الموجود الثلاثة (والسهل) في الطباع كسهل الأرض (والحزن) فيها وهو ما غلظ من

9 **التحرير والتنوير**، الناشر: الدار التونسية للنشر تونس، طبعة 1984م، ج1 ص408
10 **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري**، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع-القاهرة الطبعة الأولى 1432هـ /2011م. باب في أحاديث متفرقة، رقم ح 2996
11 **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة 1-1415هـ/1994م. ج3 ص599
12 **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند ابي موسى الاشعري، رقم ح 19597

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

الأرض، (والخبيث) في طباعه وأحواله كالأرض الخبيثة التي لا يخرج منها إلا نكدًا، (والطيب) المأخوذ من الأرض الطيبة التي يخرج نباتها بإذن ربها (وبين ذلك) من الطيب والخبيث. وكان مقتضى خلق آدم منها كلها أن يكون كل من هذه الألوان والطباع فيه وفي بنيه إلا أنه كان غلب على كل نوع من بنيه لون ولا مانع من اجتماعها في آدم وإن كان غالب لونه الأدمة لكنه فيه غلب ما طاب على ما خبث لأنه عجنه بماء الجنة كما يأتي وكأنه خصه بأثر ذلك فيه وإلا فإن بنيه من طينته وماء الجنة في جبلتهم.[13]

وقال تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا} (نوح:17).

قال الإمام البغوي: "أراد مبدأ خلق آدم خلقه من الأرض والناس ولده، وقوله: (نباتا) إسم جعل في موضع المصدر أي إنباتًا قال الخليل: مجازه: أنبتكم فنبتُّم نباتًا".[14]

وقد بدأ الله تعالى خلق الإنسان بعد أن أحسن كل شيء خلقه.

قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ(7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(8)} (السجدة).

خلق الله الإنسان بيده تشريفا له على جميع المخلوقات، وقبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها، وطيبها وخبيثها، ليكون النسل على هذه الطبائع، فكان ترابا أولا، ثم ألقى عليه الماء فصار طينا، ثم لما طالت مدة بقاء الماء على الطين تغير ذلك الطين فصار حمأ مسنونا، طينا أسود، ثم أيبسه بعدما صوره فصار كالفخار الذي له صلصلة. وفي هذه الأطوار هو جسد بلا روح، فلما تكامل خلق جسده، نفخ فيه الروح فانقلب ذلك الجسد الذي

13 **التنوير شرح الجامع الصغير**، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة 1-1432هـ/2011م. ج3 ص302

14 **معالم التنزيل**، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة 4-1417هـ/1997م. ج8 ص231

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

كان جمادا حيوانا له عظام ولحم وأعصاب وعروق وروح هي حقيقة الإنسان، وأعده الله لكل علم وخير، ثم أتم عليه النعمة، فعلمه أسماء الأشياء كلها.[15]

وسنحاول تفصيل هذا التسلل من خلال تتبع آيات القرآن الكريم ومراحل خلق الإنسان:

1-المرحلة الترابية: قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (ال عمران:59).

ثمّ أُضيف إلى ذلك التراب الماء إلى أن أصبح طِينا.

2 – المرحلة الطينة: قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِنْ طِينٍ} (السجدة:7).

بعد أن أصبح الطين لازبا؛ أي ملتصقا ببعضه البعض، ومتماسكا، ثم صار الطين ذا لون أسود، وهو ما يعرف بالحمأ المسنون.

3 – مرحلة الحمأ المسنون: قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(27) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28)} (الحجر).

قال إبن جرير الطبري: "ثم أمر بتُربة آدم فرُفعت، فخلق الله آدم من طين لازب -واللازبُ: اللزِجُ الصُّلب، من حمأ مسنون -مُنْتِن. قال: وإنما كان حمأ مسنونًا بعد التراب. قال: فخلق منه آدم بيده، قال فمكث أربعين ليلة جسدًا ملقًى. فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيُصَلصِل -أي فيصوّت-قال: فهو قول الله:(مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)".[16]

4-مرحلة الفخار: قال تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} (الرحمان:14).

15 انظر **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، ج1 ص 172
16 **جامع البيان في تأويل القرآن**، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة 1-1420هـ/2000م ج1 ص456

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرك ونقر كالفخار، يعني أنه من يُبسه وإن لم يكن مطبوخا، كالذي قد طُبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طبخ من الطين بالنار.[17]

ثمّ نفخ الله تعالى في آدم من روحه، فدبت فيه الحياة.

5-مرحلة نفخ الروح والسجود له: قال تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (الحجر:29).

قال الشيخ الطنطاوي: "فإذا صورته على صورة البشر، وأفضت عليه ما به من الحياة من الروح التي هي من أمري -ولا علم لأحد بها سواي، فاسجدوا له سجود تحية وتكريم.

ولا تعارض بين وصف آدم هنا بأنه خلق من طين، وبين وصفه في آيات أخرى بأنه خلق من تراب، أو من صلصال من حمأ مسنون، فإن المادة التي خلق منها آدم وإن كانت واحدة، إلا أنها مرت بمراحل متعددة، وكل آية تتحدث عن مرحلة معينة. وأضاف -سبحانه-الروح إلى ذاته، للإشعار بأن هذه الروح لا يملكها إلا هو -تعالى-، وأن مرد كنهها وكيفية هذا النفخ، مما استأثر-سبحانه-به، ولا سبيل لأحد إلى معرفته ".[18]

وقد جاء في بعض الأحاديث أن الله خلق آدم على صورته منها قوله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن).[19]

17 **المصدر السابق**، ج22 ص24
18 **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة 1-1997م.ج12 ص181
19 **صحيح البخاري**، باب بدأ السلام، رقم ح 5873

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته).[20]

قال الإمام النووي: "هذا من أحاديث الصفات...وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها حق وأن ظاهرها غير مراد، ولها معنى يليق بها. وهذا مذهب جمهور السلف وهو أحوط وأسلم. والثاني أنها تتأول على حسب ما يليق بتنزيه الله تعالى وإنه ليس كمثله شيء. واختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة الضمير في صورته عائد على الأخ المضروب وهذا ظاهر رواية مسلم. وقالت طائفة يعود إلى آدم وفيه ضعف. وقالت طائفة يعود إلى الله تعالى ويكون المراد اضافة تشريف واختصاص كقوله تعالى: "ناقة الله" وكما يقال في الكعبة بيت الله ونظائره والله اعلم".[21]

والصلة للملائكة بنا في قصتنا الكريمة أنهم أول من اتصل بأبي البشر عليه السلام، إذ سجدوا له بأمر الله عز وجل عندما نفخ فيه من روحه. ومن البديهي أن هذا السجود لم يكن عبادة ونسك، فإن ذلك لا يكون لغير الله. إنما هو سجود تحية وتكريم ومؤانسة، وليس ضروريا أن يكون سجود وضعوا له الجباه على الأرض كما نفعل في سجودنا لله عز وجل فللسجود هيئات كثيرة تتنوع بتنوع أصناف الخلائق.[22]

6-إعلان إستخلاف آدم وتعليمه الأسماء: قال تعالى:{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)}(البقرة).

20 **صحيح مسلم**، باب النهي عن ضرب الوجه، رقم ح 2612
21 **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الناشر، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة 2-1392هـ. ج16 ص165
22 **آدم عليه السلام فلسفة تقويم الانسان وخلافته**، البهى الخولي، الناشر مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة 3-1394 هـ /1973م، ص76

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قال الإمام الطاهر ابن عاشور: "والظاهر أن خطابه تعالى هذا للملائكة كان عند إتمام خلق آدم عند نفخ الروح فيه أو قبل النفخ، والأول أظهر، فيكون المراد بالمخبر عن جعله خليفة هو ذلك المخلوق كما يقول الذي كتب كتابا بحضرة جليس إني مرسل كتابا إلى فلان فإن السامع يعلم أن المراد أن ذلك الذي هو بصدد كتابته كتاب لفلان، ويجوز أن يكون خطابهم بذلك قبل خلق آدم، وعلى الوجوه كلها يكون إسم الفاعل في قوله: جاعل للزمن المستقبل لأن وصف الخليفة لم يكن ثابتا لآدم ساعتئذ...{وعلم آدم الأسماء كلها} فإن تعليم آدم الأسماء وإظهار فضيلته بقبوله لهذا التعليم دون الملائكة جعله الله حجة على قوله لهم إني أعلم ما لا تعلمون أي ما لا تعلمون من جدارة هذا المخلوق بالخلافة في الأرض... وأيا ما كانت كيفية التعليم فقد كان سببا لتفضيل الإنسان على بقية أنواع جنسه بقوة النطق وإحداث الموضوعات اللغوية للتعبير عما في الضمير. وكان ذلك أيضا سببا لتفاضل أفراد الإنسان بعضهم على بعض بما ينشأ عن النطق من استفادة المجهول من المعلوم وهو مبدأ العلوم، فالإنسان لما خلق ناطقا معبرا عما في ضميره فقد خلق مدركا أي عالما وقد خلق معلما، وهذا أصل نشأة العلوم والقوانين وتفاريعها لأنك إذا نظرت إلى المعارف كلها وجدتها وضع أسماء لمسميات وتعريف معاني تلك الأسماء وتحديدها لتسهيل إيصال ما يحصل في الذهن إلى ذهن الغير".[23]

يلاحظ من خلال سرد قصة خلق الإنسان -البشر-في القرآن الكريم الحديث عن عموم الإنسان، إلى مرحلة الأمر بالسجود له {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم} ومرحلة التعليم {وعلم آدم الأسماء كلها}؛ فهنا أشار القرآن الكريم إلى آدم. فهل هذا العموم يشمل خلق آدم وحواء ويستثنى منه السجود والتعليم؟ أم أن خلق حواء كان مستقلا؟

7-خلق حواء زوج آدم: بعد أن اكتمل خلق آدم سجدت الملائكة إكراما وتعظيما لمقامه، وأذن الله سبحانه لآدم أن يسكن الجنة هو وزوجه.

23 **التحرير والتنوير**، ج1 ص395 وما بعدها -بتصرف-

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قال تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} (البقرة:35).

هنا بدأ الحديث عن زوج آدم لتسكن معه الجنة. فمتى خلقت وكيف؟

ليس في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة الصريحة ما يمكن الإعتماد عليه كدليل واضح وبين عن كيفية خلق حواء. لذلك بقيت المسألة محل خلاف ونظر واجتهاد في فهم النصوص التي تشير إلى خلق زوج آدم عليهما السلام؛ مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء:1).

وقوله سبحانه: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} (الأعراف:189).

جمهور العلماء يستدلون بهتين الآيتين على أن الله خلق حواء من ضلع آدم.

وذكر الإمام الطاهر بن عاشور قولا أخر-قيل: " من بقية الطينة التي خلق منها آدم " -.[24]

ولم يسنده إلى أحد من المفسرين.

قال الإمام الرازي: "وفي كون حواء مخلوقة من آدم قولان؛ الأول: وهو الذي عليه الأكثرون أنه لما خلق الله آدم ألقى عليه النوم، ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، فلما استيقظ رآها ومال إليها وألفها، لأنها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه، واحتجوا عليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن ذهبت تقيمها كسرتها وإن تركتها وفيها عوج إستمتعت بها)".[25]

24 **المصدر السابق**، ج4 ص214

25 لم اعتر عليه بهذه الرواية ورواه مسلم باب الوصية بالنساء رقم ح1468 عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها، كسرتها وكسرها طلاقها»

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

والقول الثاني: وهو اختيار أبي مسلم الأصفهاني: أن المراد من قوله: {وخلق منها زوجها} أي من جنسها وهو كقوله تعالى: {والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا} (النحل:72) وكقوله: {إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم} (آل عمران:164) وقوله: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} (التوبة:128).[26]

وأما عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إستوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خُلقت من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمه كسرتَه، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء).[27]

قال بدر الدين العيني: " وقيل: الحديث لم يذكر فيه النساء إلا بالتمثيل بالضلع والإعوجاج الذي في أخلاقهن منه، لأن للضلع عوجا فلا يتهيأ الإنتفاع بهن إلا بالصبر على اعوجاجهن ".[28]

قال الشيخ محمد رشيد رضا: " أما قوله تعالى: وخلق منها زوجها فمعناه على الوجه الذي قررناه يظهر بطريق الإستخدام بحمل النفس على الجنس، وإعادة الضمير عليه بمعنى أحد الزوجين، أو بجعل العطف على محذوف يناسب ذلك كما قال الجمهور، أي وحدّ تلك الحقيقة أولا، ثم خلق لها زوجها من جنسها. ومعناه المراد عند الجمهور أن الله - تعالى - خلق لتلك النفس التي هي آدم زوجا منها وهي حواء، قالوا: إنه خلقها من ضلعه الأيسر، وهو نائم، وذلك ما صرح به في الفصل الثاني من سفر التكوين، وورد في بعض الأحاديث، ولولا ذلك لم يخطر على بال قارئ القرآن، وهناك قول آخر إختاره أبو مسلم كما قال الرازي وهو: أن معنى {خلق منها زوجها} خلقه من جنسها، فكان مثلها، فهو كقوله - تعالى -: {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة} (الروم:21) وقوله: {والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة} (النحل:72) وقوله:{ فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} (الشورى:11) ومن هذا القبيل قوله - عز وجل -: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم}

26 **مفاتيح الغيب**، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة 2-1420هـ، ج9 ص477
27 **صحيح البخاري**، باب قول الله تعالى {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} رقم ح 3153،
28 **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج15 ص212

(التوبة: 128) وقوله: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم} (ال عمران: 164) ومثلهما في سورة البقرة، وسورة الجمعة. فلا فرق بين عبارة الآية التي نفسرها، وعبارة هذه الآيات، فالمعنى في الجميع واحد، ومن ثبت عنده أن حواء خلقت من ضلع آدم فهو غير ملجأ إلى إلصاق ذلك بالآية، وجعله تفسيرا لها، وإخراجها عن أسلوب أمثالها من الآيات ".[29]

ولعل هذا أقرب إلى معنى الآية وخاصة لكثرة الأمثلة الواردة في نفس السياق، كما أن الحديث المذكور أنفا في قصة الضلع لم يصرح بالخلق وهو أقرب إلى التشبيه كما يؤكد ذلك حديث آخر متفق عليه وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها واستمتعت بها وفيها عوج).[30]

فأقول: إنني لا أجزم بأن الله خلق حواء من ضلع آدم؛ لأنه لم يثبت في ذلك دليل صحيح صريح، وما نقله المفسرون في ذلك هو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، في قصة خلق الإنسان خاصة في العهد القديم. كما أن الحديثين المذكورين أنفا في خلق المرأة من الضلع أو كالضلع لم يصرح فيه بأنها خلقت من ضلع آدم فيكون في الجمع بين الحديثين إشارة واضحة بأن المقصود التمثيل والتشبيه بالضلع وليس الخلق من الضلع. وهذا التمثيل ليس فيه انتقاص للمرأة بقدر ما فيه تبين لحالتها الخِلقية والخُلقية التي فطرت عليها مقارنة بشقيقها الرجل، وسر جمالها يكمن في هذا الإعوجاج لذلك استوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم خيرا -والله اعلم-

خطيئة آدم وزوجه، وإنزالهما إلى الأرض وبدأ الإستخلاف:

قال تعالى:{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا

29 **تفسير المنار**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1990م. ج4 ص 270
30 **صحيح البخاري**، باب المداراة مع النساء وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما المرأة كالضلع)، رقم ح 4889. وفي **صحيح مسلم**، باب الوصية بالنساء، رقم ح 1468

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)}(البقرة).

و قال تعالى:{ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى(117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى(118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى(119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى(120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)}(طه).

أشار صاحب التحرير والتنوير هنا إلى لطيفة تفسيرية مهمة في أكل آدم وحواء من الشجرة خالف فيها أغلب التفاسير التي حملت مسؤولية المعصية لحواء، على أساس أن الشيطان مر عن طريقها لغواية آدم، في حين القرآن واضح وصريح في أن الشيطان إنما وسوس لآدم {فوسوس إليه} وليس لحواء وأن العاصي هو آدم أولا {وعصى آدم} وإنما إتبعته حواء.

قال الإمام الطاهر بن عاشور: "واقتصار الشيطان على التسويل لآدم وهو يريد أن يأكل آدم وحواء، لعلمه بأن اقتداء المرأة بزوجها مركوز في الجبلة... وقوله {وعصى آدم ربه} عطف على فأكلا منها، أي أكلا معا، وتعمد آدم مخالفة نهي الله تعالى إياه عن الأكل من تلك الشجرة. وإثبات العصيان لآدم دون زوجه يدل على أن آدم كان قدوة لزوجه فلما أكل من الشجرة تبعته زوجه، وفي هذا المعنى قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا} (التحريم:6) ... وجملة ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى معترضة بين جملة وعصى آدم وجملة قال اهبطا منها جميعا، لأن الإجتباء والتوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم وزوجه بالخروج من الجنة كما في سورة البقرة، وهو

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

المناسب لترتب الإخراج من الجنة على المعصية دون أن يترتب على التوبة. وفائدة هذا الإعتراض التعجيل ببيان مآل آدم إلى صلاح".[31]

وهكذا تمت قصة خلق الإنسان في القرآن الكريم بعد أن هيأ الله له السماوات والأرض وما بينهما تسخيرا، ثم اصطفاه على كثيرا من خلقه ليكون خليفة لله على عمارة الأرض ويخلفه في هذه المهمة أبنائه جيلا بعد جيل.

قال الدكتور عبد المجيد النجار: "الإنسان عنصر كوني على مستوى الخلق، وعلى مستوى الحركة لممارسة الحياة، فالكون هو منبته وهو مجال حياته، ولذلك فإن التعاليم الإسلامية بينت صلة الإنسان بالكون ومنزلته فيه أوضح بيان، وتتلخص هذه الصلة وهذه المنزلة في نقاط ثلاثة أساسية: وحدة الإنسان والكون، ورفعة الإنسان، وتسخير الكون للإنسان".[32]

بهذا يكون الإنسان مؤهلا للخلافة بعمارة الأرض لأنه قد فضل على غيره من المخلوقات بحيث خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه الأسماء كلها، كما أنه إكتسب خبرة مع عدوه الشيطان الذي ابتلي به فأخرجه من الجنة وتلقى كلمات التوبة من ربه فتاب عليه.

المبحث الثاني: مفهوم الإستخلاف وأنواعه.

قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}(البقرة:30)، لم يكن الله تعالى ليستخلفَ الإنسان ويقيمه هذا المقام و يحمله هذه المهمة التي ناءت بحملها السماوات والأرض والجبال ؛ قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ...}(الاحزاب:72)، إلا لما زوده بخصائص وميزات - رأيناها في مسيرة خلقه- رفعته عن مستوى يكون فيه مجرد مسرح للإبداع إلى مستوى يجعله منتجا للإبداع، تجلت في مطلق الإدراك عبر رحلة التجدد الدائمة بفضل عقله، و في إرادة مطلقة التصرف

31 **التحرير والتنوير**، ج16 ص326
32 **خلافة الانسان بين الوحي والعقل**، الناشر دار الغرب الاسلامي، الطبعة 1-1407هـ/1987م ص55

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

من خلال حتميات طبيعية راسخة، وفي مقومات متنوعة هي جسور بين الإنسان ومحيطه، تتشكل مع الأيام و الأجيال أشكالا كثيرة و متنوعة و متطورة عبر الأسماء التي تلقاها من ذي علم عليم؛ قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}(البقرة:31). فما هو مفهوم الاستخلاف؟

المطلب الأول: تعريف الإستخلاف.

أ-في اللغة: الإستخلاف مصدر الفعل إستخلف يستخلف إستخلافاً.

قال أحمد بن فارس: (خلف) الخاء واللام والفاء؛ أصول ثلاثة، تأتي لأحد معانٍ ثلاث:

المعنى الأول: أن يجيء شيء بعد شيء فيقوم مقامه.

فالخَلَف -بفتح أوله ووسطه -ما جاء بعد الشيء، يُقال: هو خَلَف صدق من أبيه، أو هو خَلَف سوء من أبيه، فإذا لم يذكر في الكلام خيراً ولا سوءً قيل للجيد: خَلَف وللرديء خَلْف ومن ذلك قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ...} (مريم:59) وقوله: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ} (الأعراف:169).

والخلافة: راجعةٌ إلى الخَلَف، سميت بذلك لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه.

وخَلَف فلانٌ فلاناً: إذا كان خليفته، يقال خلفه في قومه خلافةً، قال تعالى: {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي...} (الأعراف:142)، ويقال في الدعاء: أخلف الله عليك، أي كان الله تعالى الخليفة عليك لمن فقدت من أب أو حميم، وخلَّف الله عليك " أي عوضك عن الشيء الذاهب منك ما يقوم بعده".

واستخلف فلاناً: جعله مكانه، يقال: خلَّفت فلاناً أُخلِّفه تخليفاً، واسْتَخْلَفه: جعله خليفة.

المعنى الثاني: خلاف قدَّام، ويكون هذا المعنى بتسكين الوسط " خَلْف " يقال: هذا خَلْفي، وهذا قدامي، ومنه قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} (طه:110) وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ...} (يس:45).

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

المعنى الثالث: التَغيُّر -يقال: خَلَف فوه، إذا تغيَّر-ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (لَخَلُوف فَمِ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)،[33] ومنه إخلاف الوعد، وفي الحديث: آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب وإذا وعد أخْلَف[34]..."[35].

وقال ابن منظور: اسْتَخْلَفَ فلاناً من فلان جعله مكانه وخَلَفَ فلان فلاناً إذا كان خَلِيفَتَه يقال خَلَفه في قومه خِلافةً وفي التنزيل العزيز: {وقال موسى لأَخِيه هرون اخْلُفْني في قَوْمي} (الأعراف:142) وخَلَفْتُه أَيضاً إذا جئت بعده ويقال خَلَّفْتُ فلاناً أُخَلِّفُه تَخْلِيفاً واسْتَخْلفْتُه أَنا جَعَلتُه خَليفَتي واسْتَخْلفه جعله خليفة والخَلِيفةُ الذي يُسْتخْلَفُ ممن قبله والجمع خلائف جاؤوا به على الأصل مثل كريمةٍ وكرائِمَ وهو الخَلِيفُ والجمع خُلَفاء. وأَما سيبويه فقال خَلِيفةٌ وخُلَفاء كَسَّروه تكسير فَعِيلٍ لأَنه لا يكون إلا للمذكر هذا نقل ابن سيده. وقال غيره: فَعِيلة بالهاء لا تجمع على فُعَلاء قال ابن سيده: وأَما خَلائِفُ فعلى لفظ خَلِيفةٍ ولم يعرف خليفاً وقد حكاه أَبو حاتم وأَنشد لأَوْس بن حَجَر: إنَّ مِنَ الحيّ موجوداً خَلِيفَتُهُ *** وما خَلِيفُ أبي وَهْبٍ بمَوْجُودِ.

والخِلافةُ الإمارةُ وهي الخِلّيفَى وإنه لخَلِيفةٌ بَيِّنُ الخِلافةِ والخِلّيفى وفي حديث عمر رضي الله عنه لولا الخِلّيفَى لأَذَّنْتُ.... قال الزجاج جاز أن يقال للأَئمة خُلفاء الله في أَرْضِه بقوله عز وجل: {يا داودُ إنَّا جَعَلْناك خَلِيفةً في الأرض} (ص:26).

وقال غيره: الخَليفةُ السلطانُ الأَعظم وقد يؤنَّثُ وأَنشد الفراء:

أَبوكَ خَلِيفةٌ وَلَدَتْه أُخْرَى*** وأَنتَ خَليفةٌ ذاكَ الكَمالُ.

33 **موطأ مالك بن انس**، برواية يحي بن يحيى الليثي، الناشر: المكتبة العصرية للنشر-بيروت، الطبعة 1-1421هـ/2000م. باب جامع الصيام، رقم ح 689
34 **الجامع الصحيح المختصر**، محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة -بيروت، الطبعة 3-1407هـ/1987م.، باب علامة المنافق، رقم ح 33.
35 **معجم مقاييس اللغة**، إبن فارس. مادة (خلف) ج 2 ص 170 (بتصرف)

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قال ولدته أُخْرَى لتأْنيث إسم الخليفة والوجه أن يكون ولده آخَرُ وقال الفراء في قوله تعالى: {هو الذي جعلكم خلائِفَ في الأرض} قال: جعل أمة محمد خَلائفَ كلِّ الأُمم. قال وقيل: خَلائفَ في الأرض يَخْلُفُ بعضكم بعضاً.[36]

ب-الإستخلاف في الإصطلاح: يستعمل مصطلح "الإستخلاف" ويراد به أحد أمرين:

1-أن يعهد الحاكم لغيره في القيام بالأمر بعده، سواء كان ذلك مؤقتا، بأن يكون الحاكم موجودا ولكن رغب في إحلال شخص محله لظروف ألمت به كسفر ونحوه، ومن ذلك استخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض صحابته على المدينة في حال سفره.[37] أو استخلاف الحاكم خليفة بعد موته على رعيته ومن ذلك استخلاف أبي بكر الصديق لعمر رضي الله عنهما. وهذا الإستخلاف بمفهومه السياسي يطلق عليه " العهد " ويبحثه العلماء في كتب الأحكام السلطانية.[38]

2-أن تحل أمة محل أخرى، أو فرد محل آخر في ملكية الأراضي والأموال. وهذا المفهوم يبحثه العلماء عند تفسيرهم لآيات الإستخلاف في القرآن الكريم، أو شرحهم لأحاديث الإستخلاف في الأموال.

قال الإمام ابن القيم: "قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة"، فلا خلاف أن المراد به آدم وذريته، وجمهور أهل التفسير من السلف والخلف على أنه جعله خليفة عمن كان قبله في الأرض. قيل عن الجن الذين كانوا سكانها وقيل عن الملائكة الذين سكنوها بعد الجن، وقصتهم مذكورة في التفاسير وأما قوله تعالى: {وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض} فليس المراد به خلائف عن الله وإنما المراد به أنه جعلكم يخلف بعضكم بعضا، فكلما هلك قرن خلفه قرن إلى آخر الدهر. ثم قيل إن هذا خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة أي جعلكم خلائف

36 **لسان العرب**، الناشر: طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة 1-1408هـ. مادة (خلف) ج 9 ص 82
37 **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة 14-1407هـ/1986م.ج 3 ص488
38 **الأحكام السلطانية**، الماوردي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة 1-1410هـ. ص 30 وما بعدها.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

من الأمم الماضية فهلكوا وورثتم أنتم الارض من بعدهم، ولا ريب أن هذا الخطاب للأمة، والمراد نوع الإنسان الذي جعل الله أباهم خليفة عمن قبله وجعل ذريته يخلف بعضهم بعضا إلى قيام الساعة".[39]

ومن خلال اطلاعي على هذا الموضوع في كتب التفاسير وشروح الحديث لم أقف على تعريف للإستخلاف يبين ماهيته ويجمع أنواعه ويميزه عن غيره، ولعل السبب في ذلك راجع للإكتفاء بمفهومه في اللغة لوضوحه.

والذي سيتناوله البحث بالدراسة والتحليل هو المعنى الإصطلاحي الذي تشير إليه الآية القرآنية في قوله تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة:30). ومن مشتقاته التي وردت في القرآن "خليفة " وجمعه "خلائف " و " خلفاء " واسم المفعول منه " مستخلَف ".

المطلب الثاني: ماهية الإستخلاف في القرآن الكريم.

إذا كان من المسلّم به أن الإستخلاف من عند الله تعالى فهو الذي استخلف عباده في أرضه وماله فهنا يأتي السؤال: عمن هذا الإستخلاف؟ هل هو عن الله تعالى فيكون الإنسان خليفة عن الله تعالى في أرضه وماله، ليقوم بعمارة الأرض وتنمية الأموال واستثمارها وفق ما شرع الله تعالى وليقوم بواجبه في الدعوة إلى عبادة الله تعالى والحكم بالعدل بين خلقه، أم أن هذا الإستخلاف عمن سبقنا من الأمم التي سكنت هذه الأرض، أو إستخلاف عن البشر بعضهم عن بعض في وراثة الأرض والأموال سواء كانوا أفرادا أو جماعات؟

هذه المسألة إختلف فيها المفسرون وخاصة في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..} (البقرة:30).

ونظرا لأهمية هذه المسألة فسنفصل القول فيها حتى تتضح بأدلتها.

الخلاف في المسألة: إختلف المفسرون في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

39 **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. ج1 ص 152

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

القول الأول:

أن الخلافة عن الله عز وجل في أرضه؛ فالله أراد أن يجعل آدم عليه السلام والرسل والأنبياء والصالحين من ذريته خلفاء يخلفونه في عباده، تبليغا لرسالته والدعوة إليه والحكم بين خلقه، لا عن جهل أو عجز منه جل وعلا، ولكنه يمن على من يشاء من خلقه إصطفاء واختيارا.

وعلى هذا القول تكون (خليفة) في الآية بمعنى إسم المفعول، أي أن الله جل وعلا جعل آدم عليه السلام وذريته خلفاءه في أرضه لإقامة شرعه والحكم بالعدل بين عباده. وهذا المعنى أسنده ابن جرير الطبري في تفسيره إلى ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس: "إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي. وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه".[40]

ورجح السمعاني في تفسيره أن المعنى المراد هو الخلافة عن الله تعالى: "قيل: إنما سماه خليفة؛ لأنه يخلفه غيره. فيكون الخليفة بمعنى أنه يخلف غيره. ويكون الخليفة أنه يخلفه غيره.

وقيل: إنما سمى خليفة لأنه خليفة الله في الأرض؛ لإقامة أحكامه، وتنفيذ قضاياه، وهذا هو الأصح ".[41]

و ذهب الراغب الأصفهاني إلى عموم هذا الإستخلاف في كل الصالحين من ذرية آدم عليه السلام: "والخليفة يقال للواحد والجمع، وهاهنا [هو] جمع، فإن الخليفة لم يرد به آدم عليه السلام فقط، بل أريد هو وصالحو أولاده، فهم خلفاؤه وحزبه لقوله تعالى: {حِزْبَ اللَّهِ}(المائدة:56)، وأنصاره لقوله: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ}(الحديد:25)، وعباده لقوله: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}(الذاريات:56)، وعمارة في الأرض لقوله: {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}(هود:61)، والمقصود واحد بهذه العبارات وإن اختلفت بحسب الإعتبارات".[42]

40 **جامع البيان في تأويل القرآن**، ابن جرير الطبري، ج 1 ص 447
41 **تفسير السمعاني**، الناشر: دار الوطن، الرياض -السعودية، الطبعة 1-1418هـ/1997م. ج1 ص64.
42 **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج1 ص139.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وذهب إلى نفس المعنى كذلك فخر الدين الرازي في تفسيره ونسبه إلى عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس والسدي رضي الله عنهم: "إنما سماه الله خليفة لأنه يخلف الله في الحكم بين المكلفين من خلقه" وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهذا الرأي متأكد بقوله: {إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} (ص:26).[43]

وهو اختيار شمس الدين القرطبي الذي رجح أن يكون هذا مذهب جميع المفسرين: "والمعنى بالخليفة هنا. في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام، وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره".[44]

أما أنها خلافة عن الله، فذلك ما نجد له وجها من الإستدلال يطمئن إليها العقل منها: تنويه الله به، فإنه سبحانه قد أعلنها، ومهد لها في الملأ الأعلى قبل إظهارها بقوله: {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} أي سأجعل في الأرض خليفة، وإنما يكون ذلك حين الحفاوة بالأمور الجليلة والأقدار ذات الشأن...وليس من ذلك في شيء أن بشرا سيخلف بشرا في هذه الأرض أو خلقا سواه، جنا أو غيره، فإن العقل -على فرض جواز ذلك-لا يرى في شيء منه أي ميزة تدعو للحفاوة بها والتمهيد لها قبل ظهورها.[45]

وقد إستدل أصحاب هذا القول بالأدلة التالية:

الدليل الأول: قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة:30) والخليفة في اللغة: من يخلف غيره وينوب منابه، فعيل بمعنى فاعل والتاء للمبالغة، سمي خليفة لأنه مستخلف عن الله عز وجل في إجراء الأحكام وتنفيذ الأوامر الربانية.[46]

43 **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)** فخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة 3-1420هـ. ج1 ص 442.
44 **الجامع لأحكام القرآن**، شمس الدين القرطبي، ج 1 ص263.
45 **آدم عليه السلام فلسفة تقويم الانسان وخلافته**، البهى الخولي، ص 266-127
46 **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة 1-1417 هـ/1997م. ج 1 ص40.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

فيكون " الخليفة " في الآية -وهو آدم عليه السلام وذريته -خلفاء عن الله في أرضه وعلى ماله، فهو الذي استخلفهم عنه فيهما.

ونوقش هذا الدليل: بأنه مكون من مقدمة ونتيجة، أما المقدمة فمسلم بها وهي أن الخلافة عن الغير تقتضي النيابة عنه والحلول مكانه، أما النتيجة وهي أن الإنسان يكون خليفة الله في أرضه فلم يُسلّم بها لأن الخلافة عن الغير تكون إما بسبب موته، أو رحيله إلى مكان آخر، أو عجزه، والله سبحانه وتعالى منزه عن كل ذلك.

وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم: والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ويكون لحاجة المستخلف إلى الإستخلاف. وسمي "خليفة" لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى وهو منزه عنها؛ فإنه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب.[47]

الدليل الثاني: قوله تعالى: {يا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} (ص:26)، ووجه الإستدلال من الآية: أن الله سبحانه وتعالى يستخلف من عباده من يشاء على من يشاء وداود عليه السلام قد إستخلفه الله في أرضه، وبين له ما يقتضيه هذا الإستخلاف من الحكم بالعدل. وهذا ما ذكره ابن العثيمين ضمن الإحتمالات الواردة في معنا الإستخلاف.

فقال: " فيحتمل أن الله أراد من هذه الخليقة آدم وبنيه. أن يجعل منهم الخلفاء يخلفون الله تعالى في عباده بإبلاغ شريعته، والدعوة إليها، والحكم بين عباده؛ لا عن جهل بالله سبحانه وتعالى. وحاشاه من ذلك، ولا عن عجز؛ ولكنه يمن على من يشاء من عباده، كما قال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ} (ص:26) هو خليفة يخلف الله عز وجل في الحكم بين عباده".[48]

47 **الفتاوي الكبرى**، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة 1-1408هـ/1987م. ج 35 ص45. وانظر **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، ج1 ص152

48 **تفسير ابن عثيمين**، الناشر: دار ابن الجوزي-الدمام السعودية.ج1 ص112-113.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ونوقش هذا الدليل بما يلي: أنه ليس في الآية ما يدل على أن داود خليفة عنه في الأرض، وإنما فيها بيان أن الله إستخلف داود على الأرض، فهو مستخلف من الله على أرضه عمن كان قبله وهو الملك طالوت كما في آيات سورة البقرة.[49]

وهذا المعنى ذهب إليه الإمام الشوكاني في تفسيره: "والخليفة هنا معناه الخالف لمن كان قبله من الملائكة، ويجوز أن يكون بمعنى المخلوف: أي يخلفه غيره قيل هو آدم وقيل كل من له خلافة في الأرض، ويقوي الأول قوله خليفة دون خلائف، واستغنى بآدم عن ذكر من بعده".[50]

الدليل الثالث: دلت النصوص من السنة المطهرة على أن الإنسان قد يكون خليفة الله في أرضه. ومن ذلك:

1-حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن الخير والشر، وجاء فيه (... قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم تكون دعاة الضلالة، فإن رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه وإن نهك جسمك وأخذ مالك،

فإن لم تره فاهرب في الأرض ولو أن تموت وأنت عاض بجذع شجرة ...).[51]

الشاهد في هذا الحديث الشريف فيما يخص حقيقة الإستخلاف هو قوله صلى الله عليه وسلم: (فإن رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه) وهذا التعبير النبوي الكريم يدل دلالة واضحة وصريحة على أن الحاكم المسلم هو خليفة الله تعالى في أرضه.

فهذا النص هو القول الفصل في جواز وصف الحاكم المسلم بالخلافة لله عز وجل، ومن تم وصف الإنسان لذلك، كما يفهم من الحديث الشريف أن الخلافة تعني النيابة عن الله في مجال الأمر الشرعي دون الأمر الكوني.[52]

49 قال تعالى: {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة:251)

50 **فتح القدير**، محمد بن علي الشوكاني، ج 1 ص78.

51 **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند حذيفة بن اليمان، رقم ح 23425

52 **الخلافة الاسلامية حقيقتها واصولها الاعتقادية وحتمية عودتها**، فاروق أحمد الداسوقي، ص242

2) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله).[53]

قوله صلى الله عليه وسلم: (ولا استخلف من خليفة) دليل على أن كل حاكم مستخلف من الله عز وجل ويصح وصفه بالخلافة لوقوع العبارة بين "ما" و "إلا" أداتي الحصر والقصر، وهذا معناه أن كل الحكام الصالح والطالح منهم على السواء خلفاء في الأرض.[54]

القول الثاني: أن خلافة آدم وذريته عمن سبق من الأمم التي كانت موجودة في الأرض من قبلهم، فهم خلفوهم في سكنى الأرض من بعدهم.

وعلى هذا التفسير تكون "خليفة" في الآية بمعنى إسم الفاعل أي أنهم خلفوا من كان قبلهم من الأمم التي كانت في الأرض.

وهذا القول مروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما،[55] وقال به بعض المفسرين[56] وهو اختيار ابن تيمية، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}. وقال: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} أي خليفة عمن قبلك من الخلق ليس المراد أنه خليفة عن الله.[57]

ويختلف أصحاب هذا القول في من هم الساكنين في الأرض قبل آدم، فقيل إنهم هم الجن، وقيل إنهم جنس آخر.[58]

53 **صحيح البخاري**، باب بطانة الإمام وأهل مشورته، رقم ح 6773
54 **الخلافة الاسلامية حقيقتها واصولها الاعتقادية وحتمية عودتها**، فاروق أحمد الداسوقي، ص 254
55 **جامع البيان في تأويل القرآن**، ابن جرير الطبري، ج1 ص449.
56 **تفسير فتح القدير**، محمد بن علي الشوكاني، ج1 ص62
57 **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمة، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى 1406هـ/1986 م، ج1 ص509
58 **جامع البيان في تأويل القرآن**، إبن جرير الطبري، ج 1 ص236

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ويرى الزمخشري والنسفي أنهم الملائكة أنفسهم، فقوله: {جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} والمعنى خليفة منكم، لأنهم كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته.[59]

ويستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

الدليل الأول: قوله تعالى على لسان الملائكة: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} (البقرة:30).

ووجه الإستدلال: أن الملائكة تبادر إلى أذهانهم أن هذا الخليفة سيكون كمن سبق في الأرض فيفسد فيها ويسفك الدماء مما يدل على أن المقصود بالخليفة: الذي يخلف من كان قبله من الأمم. وقد وردت آثار متعددة تدل على أن الأرض كانت مسكونة قبل بني آدم، منها ما رواه ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضا فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقوهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، ثم خلق الله آدم فأسكنه إياها، فلذلك قال: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}.[60]

ونوقش هذا الدليل: بأن هذه الروايات التي وردت في سكنى الارض فيها نظر حيث لم يصح فيها شيء.[61] فلا حجة فيها.

الدليل الثاني: أن الله لا يخلفه غيره، فإن الخلافة إنما تكون عن غائب، وهو سبحانه شهيد مدبر لخلقه لا يحتاج في تدبيرهم إلى غيره، وهو [سبحانه] خالق الأسباب والمسببات جميعا، بل هو سبحانه يخلف عبده المؤمن إذا غاب عن أهله. ويروى أنه قيل لأبي بكر: يا خليفة الله. فقال: "بل أنا خليفة رسول الله، وحسبي ذاك".[62]

59 **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة 3-1407هـ. ج1 ص124.ومدارك **التنزيل وحقائق التأويل**، أبي البركات عبد الله النسفي، الناشر دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة 1-1419 هـ /1998م. ج 1 ص77-78.

60 **جامع البيان في تأويل القرآن**، إبن جرير الطبري، ج1 ص236 وقد ذكر روايات أخرى غير هذا الأثر، ومعالم **التنزيل**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ج1 ص31.

61 **الخلافة في الأرض**، د. أحمد حسن فرحات، الناشر: دار عمّار الأردن، الطبعة 1-1423هـ ص11.

62 **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمة، ج1 ص510

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ويكون لحاجة المستخلف إلى الإستخلاف. وسمي (خليفة) لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى وهو منزه عنها؛ فإنه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب.[63]

ونوقش هذا الدليل: بأنه لا يلزم أن تكون الخلافة عن الغير بسبب من الأسباب المذكورة والتي هي منتفية عن الله عز وجل بلا شك، ولكن الخلافة قد تكون بسبب التشريف، أي تشريف المستخلف وتكريمه وتقديمه على غيره.[64]

وهذا ما ذكره الراغب الأصفهاني حيث قال: "والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الأخير إستخلف الله أولياءه في الأرض".[65]

يقول الدكتور فاروق أحمد الدسوقي: "ومن تم لا يكون خليفة الله عز وجل بهذا المعنى نائبا عنه لغيابه سبحانه وتعالى، ولكنها خلافة تشريف وتكريم إستخلفه الله تعالى مع شهوده الدائم، لحكمة شاءها جل وعلا...ومع إيمان الجميع مؤمنين وشياطين بقدرة الله تعالى على الإنتصار من الكافرين إلا أن الله تعالى -تحقيقا للإبتلاء-يأمر المؤمنين بنصره ومحاربة أعدائه، وإقامة شرعه، فهل معنى هذا أنه يحتاج عز وجل أو يفتقر إلى عون عباده لهزيمة أعدائه، وما النصر إلا من عند الله ".[66]

فاستخلاف آدم وبنيه من بعده من هذا الباب، والتكريم متحقق في بني آدم، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (الإسراء:70).

63 **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، طبعة 1416هـ/1995م. ج 35 ص45

64 **الخلافة في الأرض**، د. أحمد حسن فرحات. ص14.

65 **المفردات في غريب القرآن الكريم**، ص156.

66 **الخلافة الاسلامية حقيقتها واصولها الاعتقادية وحتمية عودتها**، الطبعة 1-1418هـ/1998م ص293

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

الدليل الثالث: أن الله سبحانه هو خليفة غيره كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث دعاء السفر (...اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل).[67]

ولا يجوز أن يكون أحد خلفا منه ولا يقوم مقامه؛ لأنه لا سمي له ولا كفء له. فمن جعل له خليفة فهو مشرك به.[68]

ونوقش هذا الدليل: بأن المعنى اللائق بجلال ربنا عز وجل في مسألة خلافة الإنسان له، ومسألة خلافته للإنسان هو أن الإنسان خليفة لله تعالى في مجال الأمر التشريعي، وهو عز وجل يخلف الإنسان إذا غاب أو مات في أهله في مجال القدر والأمر الكوني.

وبين المعنيين والحقيقتين فُرقان عظيم. ومن ثم يكون دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم في السفر؛ فصحبة الله تعالى هنا للمسافر بالمعنى الكوني، فيكون لهم مُعينا وهاديا ومهوّنا عليهم المشاق ودافعا عنهم الخطر.

وخلافة الله تعالى المسافر في الأهل تكون بحفظهم لهم، ورزقه إياهم ونصرته لهم وكل ذلك من أمر الله عز وجل الكوني ومن أفعال الربوبية.[69]

القول الثالث: أن المقصود بالخليفة خلافة البشر بعضهم عن بعض، ذلك أن من خصائص الإنسان المخلوق (آدم عليه السلام) أن يتناسل فيخلف بعضه بعضا، فهو (خليفة) بمعنى مخلوف من ذريته، ثم إنهم خلفاء يخلف بعضهم بعضا.[70]

67 **صحيح مسلم**، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، رقم ح 1342.
68 **مجموع الفتاوى**، ج35 ص45، ومفتاح **دار السعادة ابن القيم**، ج1 ص151.
69 **الخلافة الاسلامية حقيقتها واصولها الاعتقادية وحتمية عودتها**، فاروق أحمد الداسوقي، ص293
70 **لا يصح أن يقال الإنسان خليفة عن الله في أرضه**، لعبد الرحمن حسن الميداني، الناشر: مؤسسة الريان بيروت، الطبعة 1-1416هـ. ص34

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وعلى هذا التفسير تكون (خليفة) في الآية صالحة لاسم الفاعل، واسم المفعول، فهم خلفاء خلفوا من كان قبلهم، وسيخلفهم من يأتي بعدهم. وهذا القول مروي عن الحسن البصري رحمه الله.

قال ابن جرير الطبري: "قال آخرون في تأويل قوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}، أي خلفا يخلف بعضهم بعضا، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم، ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله. وهذا قول حكي عن الحسن البصري".[71]

واختاره بعض المفسرين منهم ابن كثير قال في تفسير قوله تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} "أي: قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل، كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} (الأنعام:165) وقال: {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} (النمل:62). وقال: {وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ} (الزخرف:60). وقال: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} (مريم:59)".[72]

ويستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

الدليل الأول: أن الآيات التي وردت في القرآن الكريم بلفظ الإستخلاف ومشتقاته كـ "خلفاء" و"خلائف" تدل على أن الخلافة عن الأمم السابقة: فيحمل معنى آية الخلافة في سورة البقرة عليها وهذا من تفسير القرآن بالقرآن، وهو أولى من تفسيره بغيره.[73]

الدليل الثاني: أن الله سبحانه وتعالى لما قال لملائكته: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} سأل الملائكة ربهم: ما يكون هذا المخلوق، وما هي صفاته وخصائصه، فبين الله لهم صفاته ومنها أنه يكون ذا إرادة حرة وصفات نفسية ينتج عنها الإفساد في الأرض ويسفك الدماء.[74]

71 **جامع البيان في تأويل القرآن**، إبن جرير الطبري ج1 ص451.
72 **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج1 ص216.
73 **لا يصح أن يقال الإنسان خليفة الله في أرضه**، ص34
74 **جامع البيان في تأويل القرآن**، إبن جرير الطبري ج1 ص452.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

فيظهر لي بعد النظر في المسألة وتأمل النصوص أن الإستخلاف يتنوع حسب المراد منه إلى إستخلاف عام واستخلاف خاص وهذا ما سيتناوله المطلب الثاني.

المطلب الثالث: أنواع الإستخلاف في القرآن الكريم.

فمن خلال دراسة النصوص التي ورد فيها الإستخلاف وأقوال العلماء يتبين أن معنى الإستخلاف في القرآن الكريم يتنوع حساب السياق الذي ورد فيها والمراد منه.

وأعتقد أن الاستخلاف يتنوع إلى عام وخاص:

1-الإستخلاف العام: ومضمونه أن الله استخلف آدم عليه السلام وبنيه على الأرض خلافة تشريف وتكريم وحملهم أمانة عمارتها، لما تميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات من قوة الإدراك وحرية الإرادة، ابتلاء له في الأرض وحسابا في الأخرة. وبهذا يكون كل فرد مستخلف عن الله إستخلاف أمانة ومسؤولية بمقضى الإبتلاء قال تعالى: {تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (1) ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ(2)} (الملك) وإلى هذا المعنى أشار الإمام الطاهر بن عشور في تفسيره للأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان؛ بأن هذه الأمانة هي الخلافة عن الله في الأرض، ويؤيد تفسيره ما أشار إليه الإمام البغوي في أن المقصود بالسماوات والأرض أهلها كلها دون أعيانها، كقوله تعالى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} (يوسف:82)، أي: أهل القرية.[75]

قال الإمام الطاهر بن عاشور: "والقول في حمل معنى الأمانة على خلافة الله تعالى في الأرض مثل القول في العقل لأن تلك الخلافة ما هيأ الإنسان لها إلا العقل كما أشار إليه قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

75 **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1417هـ/1997م.ج6 ص 380

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

خَلِيفَةً} (البقرة:30) ثم قوله: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} (البقرة: 31) فالخلافة في الأرض هي القيام بحفظ عمرانها ووضع الموجودات فيها في مواضعها، واستعمالها فيما استعدت إليه غرائزها.

وبقية الأمور التي فسر بها بعض المفسرين الأمانة يعتبر تفسيرها من قبيل ذكر الأمثلة الجزئية للمعاني الكلية.

و المتبادر من هذه المحامل أن يكون المراد بالأمانة حقيقتها المعلومة وهي الحفاظ على ما عهد به ورعيه والحذار من الإخلال به سهوا أو تقصيرا فيسمى تفريطا وإضاعة، أو عمدا فيسمى خيانة وخيسا لأن هذا المحمل هو المناسب لورود هذه الآية في ختام السورة التي ابتدأت بوصف خيانة المنافقين واليهود وإخلالهم بالعهود وتلونهم مع النبيء صلى الله عليه وسلم قال تعالى: {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ}(الأحزاب:15) و قال: {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}(الأحزاب:23). وهذا المحمل يتضمن أيضا أقرب المحامل بعده وهو أن يكون هو العقل لأن قبول الأخلاق فرع عنه.

وجملة {إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} محلها إعتراض بين جملة وحملها الإنسان والمتعلق بفعلها وهو {لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ} (الأحزاب:73) الخ. ومعناها استئناف بياني لأن السامع خبر أن الإنسان تحمل الأمانة يترقب معرفة ما كان من حسن قيام الإنسان بما حمله وتحمله وليست الجملة تعليلية لأن تحمل الأمانة لم يكن باختيار الإنسان فكيف يعلل بأن حمله الأمانة من أجل ظلمه وجهله.

فمعنى كان ظلوما جهولا أنه قصر في الوفاء بحق ما تحمله تقصيرا؛ بعضه عن عمد وهو المعبر عنه بوصف ظلوم، وبعضه عن تفريط في الأخذ بأسباب الوفاء وهو المعبر عنه بكونه جهولا، فظلوم مبالغة في الظلم وكذلك جهول مبالغة في الجهل.

والظلم: الإعتداء على حق الغير وأريد به هنا الإعتداء على حق الله الملتزم له بتحمل الأمانة، وهو حق الوفاء بالأمانة.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

والجهل: إنتفاء العلم بما يتعين علمه، والمراد به هنا انتفاء علم الإنسان بمواقع الصواب فيما تحمل به، فقوله: إنه كان ظلوما جهولا مؤذن بكلام محذوف يدل هو عليه إذ التقدير: { وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ} فلم يف بها إنه كان ظلوما جهولا، فكأنه قيل: فكان ظلوما جهولا، أي ظلوما، أي في عدم الوفاء بالأمانة لأنه إجحاف بصاحب الحق في الأمانة أيا كان، وجهولا في عدم تقديره قدر إضاعة الأمانة من المؤاخذة المتفاوتة المراتب في التبعة بها، ولولا هذا التقدير لم يلتئم الكلام لأن الإنسان لم يحمل الأمانة باختياره بل فطر على تحملها.

ويجوز أن يراد ظلوما جهولا في فطرته، أي في طبع الظلم، والجهل فهو معرض لهما ما لم يعصمه وازع الدين، فكان من ظلمه وجهله أن أضاع كثير من الناس الأمانة التي حملها".[76]

وهذا النوع من الإستخلاف ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ-استخلاف تكويني: ومضمونه أن الله تعالى أودع في الإنسان إمكانية تحقيق الإستخلاف في الأرض ومن أدلته قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة:30). أي: (ساكنا وعامرا يسكنها ويعمرها).[77]

وقول الله تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} (هود:61) أي: جعلكم عمّارها وسكانها، وقيل: "المعنى ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها".[78]

وقال أبو منصور الماتريدي: (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)، "أي: جعلكم عمار الأرض تعمرونها لمعادكم ومعاشكم، جعل عمارة هذه الأرض إلى الخلق هم الذين يقومون بعمارتها وبنائها وأنواع الإنتفاع بها، ويرجع كله إلى واحد".[79]

76 **التحرير والتنوير**، ج 22 ص 129-130
77 **جامع البيان في تأويل القرآن**، إبن جرير الطبري، ج1 ص 449
78 **الجامع لأحكام القران**، شمس الدين القرطبي، ج9 ص 56
79 **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1426هـ /2005م، ج6 ص149

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وهو المراد في الحديث النبوي: (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء).[80]

قوله: (وإن الله مستخلفكم) يعني: جعل الله الدنيا في أيديكم، فينظر: هل تتصرفون كما يحب ويرضى، بالتصدق، وأداء الزكاة، ووجوب البر، أم تعصونه بصرف ما أعطاكم من المال في الفواحش.[81]

وقال محمد عبد الرؤوف المناوي: "(وإن الله مستخلفكم فيها)؛ أي جاعلكم خلفا في الدنيا (فناظر كيف تعملون) يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله خلقها وخولكم إياها وخولكم الإستمتاع فيها وجعلكم خلفا بالتصرف فيها فليست هي بأموالكم حقيقة بل أنتم فيها بمنزلة الوكلاء فناظر هل تتصرفون فيها على الوجه الذي يرضى به المستخلف أو لا".[82]

فحقيقة هذه الخلافة إذن: عبادة طوعية لله، بالتزام هديه وشرائعه، ينشأ عنها ضبط السلوك الإنساني في علاقته مع الله، وعلاقته بالكون والمخلوقات، بحيث تسير الحياة الإنسانية ضمن إطار الصلاح.

والحياة على هذه الأرض فرصة الإبتلاء والإختبار، ليظهر هذا الإنسان مكنون ما أودع فيه من الطاقات، وليرتقي في مدارج الكمال، بالعبودية لله من خلال إعماره لهذه الأرض التي إستخلف فيها، والتي لا بد له فيها من مراعاة شروط المستخلف لتتحقق لها صفة الصلاح.[83]

ب-إستخلاف إجتماعي: ومضمونه هو إبدال وتغيير قوم بقوم آخرين ومن أدلته قول الله تعالى: {قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} (الأعراف:129).

80 **صحيح مسلم**، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، رقم ح 2742
81 **المفاتيح في شرح المصابيح**، المظهري، الناشر: دار النوادر-وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة 1-1433هـ/2012م.ج4 ص11
82 **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة 1-**1415**هـ/1994م. ج2 ص 226
83 **الخلافة في الأرض**، د. أحمد حسن فرحات، الناشر: دار عمّار الأردن، الطبعة 1-1423هـ، ص20

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قال ابن جرير الطبري: "يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم، لا تخافونهم ولا أحدا من الناس غيرهم ... فيرى ربكم ما تعملون بعدهم، من مسارعتكم في طاعته، وتثاقلكم عنها".[84]

وقوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} (يونس:14).

" يعني بذلك أنه أبدلكم في الارض منهم، فجعلكم خلفاء بعدهم".[85]

وقوله سبحانه: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا} (فاطر:39).

الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود، ومن مضى من قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم...وعن قتادة قوله: هُوَ (الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأرْضِ) "أمة بعد أمة، وقرنًا بعد قرن".[86]

ج-استخلاف التمكين: ومضمونه إظهار الإنسان لربوبية الله سبحانه وتعالى وألوهيته في الأرض وذلك بالعبادة. وهذا القسم هو جوهر موضوع الآية الكريمة في قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور:55). هذه الآية دليل على خلافة الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم، وأن الله استخلفهم ورضي أمانتهم، وكانوا على الدين الذي ارتضى لهم، لأنهم لم يتقدمهم أحد في الفضيلة إلى يومنا هذا، فاستقر الأمر لهم، وقاموا بسياسة المسلمين، وذبوا عن حوزة الدين، فنفذ الوعد فيهم.[87]

84 **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج13 ص45
85 **المصدر السابق**، ج1 ص 449
86 **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج20 ص 479
87 **الجامع لأحكام القران**، شمس الدين القرطبي، ج12 ص 297

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وقوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84)} (الكهف). أي: أعطيناه ملكا عظيما متمكنا، فيه له من جميع ما يؤتى الملوك، من التمكين والجنود، وآلات الحرب والحصارات؛ ولهذا ملك المشارق والمغارب من الارض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم، من العرب والعجم.[88]

وقوله تعالى: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (الحج:41) معنى (مكناهم في الأرض): نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا في البلاد. قال قتادة: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقال الحسن: "هم هذه الأمة".[89]

2) أما الإستخلاف الخاص فهو الذي خص به الله آدم والرسل والأنبياء عليهم السلام والصالحين من ذريته خلفاء يخلفونه في عباده، تبليغا لرسالته والدعوة إليه والحكم بين خلقه، وهذا الإستخلاف يمكن أن نسميه بالإستخلاف الإصطفائي كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (أل عمران:33).

قال البيضاوي: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين؛ بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية، ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم. لما أوجب طاعة الرسول وبين أنها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها، وبه إستدل على فضلهم على الملائكة، وآل إبراهيم، إسماعيل وإسحاق وأولادهما. وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وآل عمران موسى وهارون إبنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وعيسى وأمه مريم بنت عمران ".[90]

88 **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج5 ص189
89 **معالم التنزيل**، ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ج5 ص 389
90 **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله البيضاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة 1-1418هـ، ج2 ص13

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وقوله تعالى: {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} (الأعراف:144) أي اخترتك على الناس "برسالاتي" إلى خلقي، أرسلتك بها إليهم.[91]

فيدخل الذين اصطفاهم الله وجعلهم خلفاء يخلفونه في عباده، لتبليغ لرسالته ودعوة العباد إليه كذلك ضمن الإستخلاف العام الكوني. والله أعلم

ونجد في القرآن الكريم كلمة الوراثة التي تدل في بعض معانيها على الإستخلاف، فأرى لزاما الإشارة إلى هذه العلاقة التي بين الإستخلاف والميراث أو الوراثة الواردة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الغاية من الإستخلاف

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}. (البقرة: 30). لقد أودع الله في الإنسان العقل، وفضله به على سائر المخلوقات في الأرض، وترك له حرية الاختيار، وهذا ما أهله ليكون خليفة الله في الأرض، وأول واجبات هذا الخليفة أن يعرف ربه، فيقر له بأنه خالقه، ورازقه، وأنه المستحق وحده للعبادة، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات:56) وعليه فإن الهدف الرئيسي من اختيار الله للإنسان خليفة له في الأرض هو أن يعبده. لذلك تعتبر القاسم المشترك بين كل الأنبياء والرسل لتذكير أقوامهم بهذه الغاية التي خلقوا من أجلها.

قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء:25).

91 **جامع البيان في تأويل القرآن**، إبن جرير الطبري، ج13 ص105

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي. "فاعبدون" يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية.[92]

ولذلك فإن استخلاف الإنسان في الأرض وتمكينه منها ما هو إلا لإظهار صفات الله تعالى فيها لكونه مصدر المثل العليا، ويتم ذلك من خلال العبودية التامة لله تعالى بترسيخ التوحيد والاعتقاد الصحيح.

قال تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الاعراف:69).

قال الدكتور يوسف القرضاوي: هذه العبادة لله وحده هي العهد القديم الذي أخذه الله على بني الإنسان، وسجله بقلم القدرة في فطرهم البشرية، وغرسه في طبائعهم الأصيلة، منذ وضع في رؤوسهم عقولا تعي، وفي صدورهم قلوبا تخفق، وفي الكون حولهم آيات تهدي: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (61)} (يس).

هذا العهد بين الله وعباده هو الذي صوره القران في ورعة وبلاغة حين قال: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173)} (الأعراف). فلا عجب أن يكون المقصود الأعظم من بعثة النبيين، وإرسال المرسلين، وإنزال الكتب المقدسة، هو تذكير الناس بهذا العهد القديم.[93]

92 **جامع البيان في تأويل القرآن**. ج18 ص427
93 **العبادة في الإسلام**، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة 24-1416هـ/1995م، ص 20-21

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ان العبودية لله وحده بالنسبة للإنسان هي سيادته في الأرض، ولكن العبودية لله وحده بالنسبة لغير الانسان لا تستتبع سيادته في الارض وهذا يفسر انفراد الانسان بالخلافة في الارض وتميزه بها عن سائر المخلوقات. والعبودية والسيادة معا هما التوحيد.

ومعنى هذا أن سيادة الإنسان في الأرض ركن أساسي من أركان توحيده لله عز وجل.[94]

من خلال هذه النصوص من القرآن الكريم يتضح أن الغاية الأساسية من الإستخلاف هي عبادة الله تعالى في الأرض، فما المراد بالعابدة؟

المطلب الأول: تعريف العبادة

أ-العبادة في اللغة: هي الخضوع، والتّذلّل للغير لقصد تعظيمه ولا يجوز فعل ذلك إلاّ لله، وتستعمل بمعنى الطّاعة. قال ابن سيدة: " أصل الْعِبَادَة فِي اللُّغَة التّذليل من قَوْلهم: طَرِيق مُعَبَّد: أَي مُذَلَّل، بِكَثْرَة الْوَطْء عَلَيْهِ، قَالَ طَرَفة:

تُباري عِتاقاً ناجِياتٍ وأتبعَتْ... وَظيفاً وظيفاً فَوق مَوْرٍ مُعَبَّد.[95]

المَوْر: الطّريق وَمِنْه أُخذ العَبْد لذلته لمَوْلَاهُ وَالْعِبَادَة والخضوع والتّذلل والاستكانة قرائب فِي الْمعَانِي، يُقَال: تَعَبَّ فلَان لفُلَان: إِذا تذلل لَهُ، وكل خضوع لَيْسَ فَوْقه خضوع فَهُوَ عبَادَة، طَاعَة كَانَ للمعبود أَو غيرَ طَاعَة. وكل طَاعَة لله على جِهَة الخضوع والتّذلل فَهِيَ عبَادَة وَالْعِبَادَة نوع من الخضوع لَا يسْتَحقّهُ إلاّ المُنعِم بِأَعْلَى أَجنَاس النّعم كالحياة والفهم والسّمع وَالْبَصَر والشّكر، وَالْعِبَادَة لَا تُستحق إلاّ بالنّعمة لِأَن الْعِبَادَة تنفرد بِأَعْلَى أَجنَاس النّعم لِأَن أقل الْقَلِيل من الْعِبَادَة يكبُر عَن أَن يسْتَحقّهُ إلاّ من كَانَ لَهُ أَعلَى جنس من النّعمة إلاّ الله سُبْحَانَهُ فَلذَلِك لَا يسْتَحق الْعِبَادَة إلاّ الله، وَقد قَالُوا: عَبَد الله يعبُده عِبادة وَرجل عابِد من قوم عَبَدَة وعُبُد وعُبَّد وعُبَّاد".[96]

94 **استخلاف الانسان في الارض**، فاروق احمد الدسوقي، الناشر دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الاسكندرية 1998م، ص34
95 ديوان الستة الجاهليين: يصف ناقته. تباري: تجاريها وتسابقها. والعتاق جمع عتيق: وهو الكريم المعرق في كرم الأصل. وناجيات: مسرعات في السير، من النجاء، وهو سرعة السير. والوظيف: من رسغي البعير إلى ركبتيه في يديه، وأما في رجليه فمن رسغيه إلى عرقوبيه. وعنى بالوظيف هنا: الخف.
96 **المخصص**، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة 1-1417هـ/1996م. ج4 ص62

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قال ابن جرير: العبودية، عندَ جميع العرب أصلُها الذلّة، وأنها تسمي الطريقَ المذلَّلَ الذي قد وَطِئته الأقدام، وذلّلته السابلة: معبَّدًا.[97]

ب-العبادة في الإصطلاح: هي الانقياد والخضوع لله تعالى، مع التقرّب إليه وما شُرع من محبته.

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.[98]

قال أحمد بن على المقريزي: واعلم أن العبادة أربع قواعد، وهي:

التحقيق بما يحب الله ورسوله ويرضاه، وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح، فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب العبادة حقا هم أصحابها.[99]

فالعبادة اسم جامع لكل ما يتضمن غاية الخضوع والتذلل والحب، الذي لا يليق إلا لله تعالى استحقاقا.

وقد عرفت الشرائع السابقة للإسلام أنواعا من العبادات بصورة من الصور كالصلاة والصيام والحج.

ففي الصلاة والصدقة قال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} (الانبياء:73).

وقال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (البينة:5)

وفي الصيام قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة:183).

وفي الحج قال تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)} (الحج).

97 **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج1 ص161
98 **العبودية لابن تيمية**، الناشر: دار الأصالة -الإسماعلية، الطبعة 3-1419ه/1999م. ص 19
99 **تجريد التوحيد المفيد**، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، الرياض السعودية الطبعة 2-1432ه/2011م. ص 104

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

يستحق الله سبحانه وتعالى العبادة؛ لأنه هو الخالق الوحيد، وبهذا يتجلى مقصد العبادة، والغاية من خلق الإنسان، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات: 56)، ومع ذلك فإنه تبارك وتعالى غني عن العالمين، ولو أن أهل الأرض جميعا أطاعوه وعبدوه ما زاد ذلك في ملكه شيئا، ولو أنهم كلهم جحدوا وأعرضوا عن عبادته، ما نقص ذلك من مُلكه شيئا، وهو القائل سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (فاطر:15).

(واللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء؛ منكم ومن غيركم.[100]

وعلى الرغم من غنى الله تبارك وتعالى عن عبادة الناس له، إلا أن إفرادهم إياه بالعبادة حق له عليهم؛ ففي الحديث الشريف أن النبي -صلى الله عليه وسلم-سأل معاذ بن جبل-رضي الله عنه-فقال: (هلْ تَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ علَى عِبادِهِ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: حَقُّ اللَّهِ علَى عِبادِهِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، قالَ: هلْ تَدْرِي ما حَقُّ العِبادِ علَى اللَّهِ إذا فَعَلُوهُ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: حَقُّ العِبادِ علَى اللَّهِ أنْ لا يُعَذِّبَهُمْ).[101]

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: الأصل في العبادات أنها تؤدى امتثالا لأمر الله. وأداء لحقه على عباده، وشكرا لنعمائه التي لا تنكر، وليس من اللازم أن يكون لهذه العبادات ثمرات ومنافع في حياة الإنسان المادية، وليس من الضروري أن يكون لها حكمة يدركها عقله المحدود. الأصل فيها أنها ابتلاء لعبودية الإنسان لربه، فلا معنى لان يدرك السر في كل تفصيلاتها. فالعبد عبد. والرب رب. وما اسعد الإنسان إذا عرف قدر نفسه.[102]

والعبادة لفظ جامع لكل ما يتعلق بالدين؛ بحيث تشمل، أركان الإسلام، وأركان الإيمان ويدخل فيها معنى الإحسان، ويأتي الأصل اللغوي لكلمة العبادة متوافقا مع المقصود بالدين؛ أي بمعنى: الخضوع، والطاعة؛ فعبادة الله

100 **جامع البيان في تأويل القرآن**، ابن جرير الطبري، ج20 ص 454
101 **صحيح البخاري**، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، رقم ح 6135
102 **العبادة في الإسلام**، يوسف القرضاوي، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون 1416هـ/1995م، ص 217

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

والدِيْنونة له تجمع الخضوع لله تعالى، إلى جانب حبه، فهو يدين لله، ويخضع له؛ طاعة، ورغبة، وحبا، وبهذين الشرطين تتحقق العبودية له، ولا تنحصر العبادة في الشعائر التعبدية فحسب، بل أكد القران الكريم على أن حياة الإنسان كلها عبادة لله، يقول الله تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وبذلك أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)} (الأنعام).

يقول السيد قطب: هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود. هي العبادة لله. أو هي العبودية لله.. أن يكون هناك عبد ورب. عبد يعبد، ورب يعبد. وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار.

ومن ثم يبرز الجانب الآخر لتلك الحقيقة الضخمة، ويتبين أن مدلول العبادة لا بد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر. فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر والله لا يكلفهم هذا. وهو يكلفهم ألوانا أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم. وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يكلفها الجن ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان. نعرفها من القرآن من قول الله تعالى: «وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ: إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» .. فهي الخلافة في الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني. وهي تقتضي ألوانا من النشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتعرف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكنوناتها، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها. كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام. ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعا. وأن حقيقة العبادة تتمثل إذا في أمرين رئيسيين: الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس. أي استقرار الشعور على أن هناك عبدا وربا. عبدا يعبد، وربّا يعبد. وأن ليس وراء ذلك شيء وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار. ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود وإلا رب واحد والكل له عبيد.

والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

التوجه بها إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله.

بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة ويصبح العمل كالشعائر، والشعائر كعمارة الأرض، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله كالصبر على الشدائد والرضى بقدر الله.. كلها عبادة وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق الله الجن والإنس لها وكلها خضوع للناموس العام الذي يتمثل في عبودية كل شيء لله دون سواه...".[103]

ويقول الشيخ الشعراوي: العبادة هي طاعة عابد لأمر معبود، ولا تفهموا العبادة على أساس أنها الشعائر فقط، فالشعائر هي إعلان استدامة الولاء لله. وتعطي شحنة لنستقبل أحداث الحياة، ولكن الشعائر وحدها ليست كل العبادة، فالمعاملات عبادة، والمفهوم الحقيقي للعبادة أنها تشمل عمارة الأرض.[104]

فالصلاة والمناسك تعد لونا من ألوان العبادة، لأن العبادة تأتي بمعنى أكثر شمولية من ذلك؛ لأنها تستغرق حياة الإنسان كلها، وعليه فكل أنشطة المسلم الحياتية هي عبادة لله تعالى، مما يعطي حياته معنى، وغاية، وهدفا يعد كل منها متصلا بالله سبحانه وتعالى. فما هي أقسام العبادة؟

المطلب الثاني: أنواع العبادة

تنقسم العبادات باعتبار التذلل الاختياري والاضطراري لله إلى نوعين:

أ-عبادة كونيّة: تعني الخضوع لأمر الله تعالى الكوني، وهي شاملة لجميع الخلائق مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا} (مريم:93).

والمراد هنا العبودية الكونية القدرية.[105]

وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} (النور:41).

103 **في ظلال القرآن**، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة 5-1967م ج6 ص3387
104 **تفسير الشعراوي** (الخواطر)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة 1997م، ج4 ص 2206
105 **تفسير القرآن الكريم**، ابن عثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي-الدمام السعودية. ج8 ص8

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قال السيد قطب: والقرآن يوجه الإنسان إلى النظر فيما حوله من صنع الله، وإلى من حوله من خلق الله في السماوات والأرض، وهم يسبحون بحمده وتقواه ويوجه بصره وقلبه خاصة إلى مشهد في كل يوم يراه، فلا يثير انتباهه ولا يحرك قلبه لطول ما يراه. ذلك مشهد الطير صافات أرجلها وهي طائرة في الفضاء تسبح بحمد الله: «كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ» ... والإنسان وحده هو الذي يغفل عن تسبيح ربه وهو أجدر خلق الله بالإيمان والتسبيح والصلاة.[106]

وقال تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} (ال عمران:83).

فكل موجود إلى وَحدانيته داع، وكل محسوس إلى ربوبيته هاد، بما وسَمهم به من آثار الصنعة، من نقص وزيادة، وعجز وحاجة، وتصرف في عاهات عارضة، ومقارنة أحداث لازمة، لتكونَ له الحجة البالغة.[107]

فهو سبحانه مالك الخلق أجمعين لا يخرج أحد منهم عن ملكه وتدبيره، ولا يمتنع أحد منهم عنه، لا رب لهم غيره ولا مالك لهم سواه ولا خالق لهم إلا هو سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه وسواء علموا ذلك أو جهلوه.

ب-عبادة شرعيّة: تعني الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي، وهذه العبادة خاصة بمن اتبع الرسل، وأطاع ربه جل وعلا. فلا تكون العبودية الشرعية إلا لعبد لله ممتثلا لأمره، مجتنبا لنهيه، مصدقا بخبره.[108]

قال تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسَىٰۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} (الشورى:13).

يقول الدكتور عبد المجيد النجار: إن العقيدة الاسلامية التي هي الفكرة الدافعة للتحضر تنبني على أساس التوحيد، فهو عمودها الذي يقوم بها جميعا. والاركان الجامعة للتوحيد هي الايمان بوحدانية الله تعالى ذاتا وصفات، ومبدأ

106 **في ظلال القرآن**، ج4 ص2521
107 **جامع البيان في تأويل القرآن**، ابن جرير الطبري، ج1 ص3
108 **تفسير القران الكريم**، ابن عثيمين، ج8 ص8 –بتصرف-

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث السادس عشر (ص: 417 - 468)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

في الخلق، ومدبرا للكون، وحاكما في حياة الناس ومعبودا لهم، ومنتهى لكل الكائنات في المصير. وبهذا المعنى فما من حقيقة من حقائق الدين الشاملة عقدية كانت أو تشريعية الا وهي منبثقة عن التوحيد وراجعة اليه، فهو روح الدين كله، الساري فيه مسرى الماء من النبات، أيما موضع انسحب منه اصابه الجفاف، وآل الى التلاشي.

وعقيدة هذا موقعها من الدين من شأنها أن تطبع معتنقيها في ممارستهم للحياة كلها فكرا ووجدانا وسلوكا بطابع الوحدة، بحيث يصير كل نشاط ذهني أو عملي دائرا في بنيته وغايته على قانون الوحدة التي تتآلف بها المختلفات، وتتوحد بها المقاييس، وتلتقي بها المشارب على هدف مشترك، وذلك ما يبدو نظريا منطقيا في انطباع الحياة بطابع المعتقد الاساسي، كما يبدوا أيضا عميا في تجربة التحضر الاسلامي في كل من الفكر والعمل...

ولما تشبع المسلمون بعقيدة التوحيد انطلقوا في حركة تحضرهم يبنون معارفهم الكونية والانسانية بمنهج فكري توحيدي، فإذا هم يباشرون الحياة الانسانية بنظر يفسر طبيعتها، ويقدر كل تصاريفها الفردية والاجتماعية على محور موحد يبنيها على مراد الله تعالى، ويسوقها في ابتغاء مرضاته، وإذا هم يباشرون المادة الكونية بنظر يفسرها على وحدة من القانون في تكوينها ومنقلباتها اهتداء بوحدة المكون والمدبر بها، ثم يضم العقل الاسلامي حصيلة النطر الثاني الى الاول لتنشأ منهما حركة العلوم الاسلامية وتتطور منظومة بسلك يوحدها جميعا في سياق الغرض الديني الذي به نشأت وتطورت أساسا من أسس الانجاز الخلافي في الارض.[109]

فالعبادة التي لا تنتج حضارة إنسانية ينعم فيها الجميع بالحرية والكرامة والعدل والمساواة، لا ترتقي الى تحقيق الغاية التي فرضت من اجلها وانما تحول بين الانسان ومهمة الخلافة في الأرض.

109 **فقه التحضر الاسلامي**، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، الطبعة 1-1999م. ج1 ص 65-66

خاتمة:

من خلاله هذا البحث يتضح أن أصل الإنسان الذي أسندت إليه مهمة الخلافة في الأرض واحد، وأنه مكرم ومؤهل بالعقل والعلم والإرادة التي تجعله قادرا على تحمل أعباء هذه المهمة التي سيحاسب عليها يوم القيامة. ويكد القرآن الكريم على الترابط الوثيق بين الإيمان والعمل الصالح وضرورتهما في عملية عمارة الأرض، وأي حضارة لا تقوم على الإيمان والعمل الصالح سيكون مصيرها الزوال.

وإن الغاية من إرسال الرسل بالشرائع والقوانين الإلهية وتجديدها بالأنبياء والمصلحين بين الفينة والأخرى؛ هي إعادة بناء الإنسان وتأهيله للقيام بمهمة الإصلاح والعمارة في الأرض كلما ابتعد عن التوجيه الرباني.

ويعتبر الوعد الرباني بالإستخلاف والتمكين في القرآن الكريم من قضاء الله الذي يجدد به للجماعة البشرية مسيرتها الحقيقية ومهمتها الأصلية في الوجود، زيادة لما يتضمنه هذا الوعد من السنن الإلهية التي تمتاز بالجريان والشمول وحتمية التحقق كلما تحققت شروطها.

إن صفات الإنسان المستخلف من إيمان وعمل صالح توضح أن أفراد الجماعة يجمعهم دين الإسلام {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (آل عمران:19)؛ بمعنى التسليم والطاعة ووحدة الإعتقاد لعمارة الأرض، وإن اختلفت تشريعاتهم باختلاف أزمانهم وظروفهم {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} (المائدة:48).

المصادر والمراجع:

1-آدم عليه السلام فلسفة تقويم الانسان وخلافته، البهى الخولي، الناشر مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة 3-1394 هـ /1973م.

2-استخلاف الانسان في الارض، فاروق احمد الدسوقي، الناشر دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الاسكندرية 1998م.

3-الأحكام السلطانية، الماوردي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة 1-1410هـ.

4-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله البيضاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة 1-1418هـ.

5-التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر تونس، طبعة 1984م.

6-التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة 1-1997م.

7-التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة 1-1432هـ/2011م.

8-الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة -بيروت، الطبعة 3-1407هـ/1987م.

9-الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع-القاهرة الطبعة الأولى 1432هـ /2011م.

10-الجامع لأحكام القرآن، ابن عبد الله شمس الدين القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية 1384هـ /1964م.

11-الخلافة الإسلامية حقيقتها واصولها الإعتقادية وحتمية عودتها، فاروق أحمد الداسوقي، الطبعة 1-1418هـ/1998م.

12-الخلافة في الأرض، د. أحمد حسن فرحات، الناشر: دار عمَّار الأردن، الطبعة 1-1423هـ.

13-الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

14-العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون 1416هـ/1995م.

15-الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة 1-1408هـ/1987م.

16-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة 3-1407هـ.

17-المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ/1996م.

18-المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، الناشر: مجمع اللغة العربية -مكتبة الشروق الدولية. سنة 2004م.

19-المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية -دمشق بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ.

20-المفاتيح في شرح المصابيح، المظهِري، الناشر: دار النوادر-وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة 1-1433هـ/2012م.

21-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية 1392هـ.

22- تجريد التوحيد المفيد، أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي، اعتنى به علي بن محمد العمران، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، الرياض السعودية الطبعة الثانية 1432هـ/2011م.

23-تفسير ابن عثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي-الدمام السعودية.

24-تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب -جامعة طنطا -مصر، الطبعة الأولى 1420هـ/1999م.

25-تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م.

26-تفسير الشعراوي (الخواطر)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة 1997م.

27-تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ/ 1999م.

28-تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1426هـ /2005م.

29-تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1990م.

30-تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1422هـ.

31-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ/2000م.

32-خلافة الانسان بين الوحي والعقل، عبد المجيد عمر النجار، الناشر دار الغرب الاسلامي، الطبعة 1-1407هـ/1987م.

33-زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة 14-1407هـ/1986م.

34-صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة 1-1417 هـ/1997م.

35-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

36-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ.

37-فقه التحضر الاسلامي، عبد المجيد عمر النجار، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، الطبعة 1-1999م.

38-فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت:1031هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ/1994م.

39-في ظلال القرآن، السيد قطب الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة 5-1967م.

40-كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م.

41-لا يصح أن يقال الإنسان خليفة عن الله في أرضه، لعبد الرحمن حسن الميداني، الناشر: مؤسسة الريان بيروت، الطبعة 1-1416هـ.

42-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ.

51-مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، طبعة 1416هـ/1995م.

52-مختار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، الناشر: المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت -صيدا، الطبعة 5-، 1420هـ / 1999م. (مادة أ د م)، ص15

53-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبي البركات عبد الله النسفي، الناشر دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة 1-1419 هـ /1998م. ج 1 ص77-78.

54-مسند الإمام أحمد بن حنبل، الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة 2-1420هـ/1999م.،

55-معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1417هـ/1997م.

56-معجم مقاييس اللغة، إبن فارس. الناشر: دار الفكر، طبعة 1399هـ/1979م. مادة (خلف) ج 2 ص 170 (بتصرف)

57-مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1420هـ.

58-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت،

59-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة.

60-منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمة، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى 1406هـ/1986م.

61-موطأ مالك بن انس، برواية يحي بن يحيى الليثي، الناشر: المكتبة العصرية للنشر-بيروت، الطبعة 1-1421هـ/2000م.